

تفسير السعدي

@ 297 @ يدعى إليها ؟ ! 2 2 ! أي : اشهدوا علينا ، أننا إن عدنا إليها بعدما نجانا
□ منها ، وأنقذنا من شرها ، أننا كاذبون مفترون على □ الكذب ، فإننا نعلم أنه لا أعظم
افتراء ، ممن جعل □ شريكا ، وهو الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي لم يتخذ صاحبة ولا
ولدا ، ولا شريكا في الملك . ! 2 2 ! أي : يمتنع على مثلنا أن نعود فيها فإن هذا من
المحال ، فأيسهم عليه الصلاة والسلام ، من كونه يوافقهم ، من وجوه متعددة ، من جهة أنهم
كارهون لها ، مبغضون لما هم عليه من الشرك . ومن جهة أنه جعل ما هم عليه كذبا ،
وأشهدهم أنه إن اتبعهم ومن معه ، فإنهم كاذبون . ومنها : اعترافهم بمنة □ عليهم إذ
أنقذهم □ منها . ومنها : أن عودتهم فيها بعدما هداهم □ من المحالات ، بالنظر إلى
حالتهم الراهنة ، وما في قلوبهم من تعظيم □ تعالى ، والاعتراف له بالعبودية ، وأنه
الإله وحده ، الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده ، لا شريك له ، وأن آلهة المشركين ، أبطل
الباطل ، وأمحل المحال . وحيث أن □ من عليهم ، بعقول يعرفون بها الحق والباطل ،
والهدى والضلال . وأما من حيث النظر إلى مشيئة □ ، وإرادته النافذة في خلقه ، التي لا
خروج لأحد عنها ، ولو تواترت الأسباب ، وتوافقت القوى ، فإنهم لا يحكمون على أنفسهم أنهم
سيفعلون شيئا أو يتركونه ، ولهذا استثنى ! 2 2 ! أي : فلا يمكننا ولا غيرنا ، الخروج عن
مشيئته ، التابعة لعلمه وحكمته . وقد ^ (وسع ربنا كل شيء علما) ^ فيعلم ما يصلح
للعباد وما يدبرهم عليه . ! 2 2 ! أي : اعتمدنا أنه سيثبتنا على الصراط المستقيم ،
وأن يعصمنا من جميع طرق الجحيم ، فإن من توكل على □ ، كفاه ، ويسر له أمر دينه ودنياه
! 2 . ! 2 ! أي : انصر المظلوم ، وصاحب الحق ، على الظالم المعاند للحق ! 2 2 ! وفتحه
تعالى لعباده ، نوعان : فتح العلم ، بتبيين الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، ومن هو
المستقيم على الصراط ، ممن هو منحرف عنه . والنوع الثاني : فتحه بالجزاء وإيقاع
العقوبة على الظالمين ، والنجاة والإكرام للصالحين . فاسألوا □ أن يفتح بينهم وبين
قومهم ، بالحق والعدل ، وأن يريهم من آياته وعبره ، ما يكون فاصلا بين الفريقين . ! 2
! 2 ! محذرين من اتباع شعيب ، ! 2 2 ! هذا ما سولت لهم أنفسهم أن الخسارة والشقاء ، في
اتباع الرشد والهدى ، ولم يدروا أن الخسارة كل الخسارة ، في لزوم ما هم عليه من الضلال
والإضلال ، وقد علموا ذلك حين وقع بهم النكال . ! 2 2 ! أي : الزلزلة الشديدة ! 2 ! 2
أي : صرعى ميتين ، هامدين . قال تعالى ناعيا حالهم : ! 2 2 ! أي : كأنهم ما أقاموا في
ديارهم ، وكأنهم ما تمتعوا في عرصاتهما ، ولا تفيئوا في ظلالها ، ولا غنوا في مسارح

أنهارها ، ولا أكلوا من ثمار أشجارها ، فأخذهم العذاب ، فنقلهم من مورد اللّهُ واللّعب
واللذات ، إلى مستقر الحزن والشقاء ، والعقاب ، والدركات ، ولهذا قال : ! 2 2 ! أي :
الخسار محصور فيهم لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة ، وذلك هو الخسران المبين ،
لا من قالوا لهم : ! 2 2 ! . فحين هلكوا ، تولى عنهم نبيهم ، عليه الصلاة والسلام ^ (
وقال) ^ معاتباً وموبخاً ومخاطباً لهم بعد موتهم : ! 2 2 ! أي : أوصلتها إليكم ،
وبينتها حتى بلغت منكم ، أقصى ما يمكن أن تصل إليه ، وخالطت أفئدتكم ! 2 2 ! فلم
تقبلوا نصحي ولا انقدتم لإرشادي ، بل فسقتم وطغيتم . ! 2 2 ! أي : فكيف أحرز على قوم ،
لا خير فيهم ، أتاها الخير فردوه ، ولم يقبلوه ، ولا يليق بهم إلا الشر ، فهؤلاء غير
حقيقين أن يحزن عليهم ، بل يفرح بإهلاكهم ومحقهم ، فعياذا بك اللّهُ من الخزي والفضيحة ،
وأي شقاء وعقوبة أبلغ من أن يصلوا إلى حالة يتبرأ منهم أنصح الخلق لهم ؟ . ! 2 2 !
يقول تعالى : ! 2 2 ! يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم عن ما هم فيه من الشر ، فلم
ينقادوا له : ! 2 2 ! أي : ابتلاهم الله ! 2 2 ! أي : بالفقر ، والمرض ، وأنواع البلى
! 2 . ! إذا أصابتهم ، خضعت نفوسهم فهم ! 2 2 ! إلى الله ، ويستكينون للحق . ^ (ثم
^) إذا لم يقد فيهم ، واستمر استكبارهم ، وازداد طغيانهم . ! 2 2 ! فأدر عليهم
الأرزاق ، وعافى أبدانهم ، ورفع عنهم البلى . ! 2 2 ! أي : كثرت أرزاقهم
وانبسطوا في نعمة الله وفضله ، ونسوا ما مر عليهم من البلى . ! 2 2 ! أي : هذه عادة
جارية ، لم تزل موجودة في الأولين واللاحقين ، تارة